(( **التفاؤل سمة المؤمن** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

« .. وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»

متى قيلت ؟ قالها رسول الله لخباب بن الأرت في العهد المكي في عصر الظلم والبغي والعدوان، يوم سلّطت قريش ألوان العذاب على المستضعفين من المسلمين فجاء خباب يناشد رسول الله الدعاء ويشكي العذاب والبلاء ، فقال يا خباب: والله لَيُتِمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون.

كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى، قال سراقة متعجّباً ! كسرى بن هرمز ؟ نعم كسرى بن هرمز أكبر إمبراطور، وأعظم حاكم لدولة فارس

متى قيلت ؟ هذا الوعد يقوله رسول الله وهو يخرج من مكة طريداً شريداً مهدوراً دمه، مستتراً بجنح الظلام، يخشى الطلب، ويخاف الرصد، ولا يكاد أن يأمن على نفسه من غوائل المشركين، ودارت الأيام ، وعاد رسول الله إلى مكة سيداً فاتحاً تَحُفُّه الألوف المؤلفة من بيض السيوف، وتدور عجلة الزمان، وتفتح دولة فارس في زمن الخليفة الملهم عمر بن الخطاب ، وجيء بالغنائم وسواري كسرى ، وتذكّر عمر وعد رسول الله لسراقة، فقال : أين سراقة بن مالك ؟ وأقبل سراقة إلى عمر فسوّره بسواري كسرى، ﭽ ﭑ ﭒﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الروم: ٦

اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» . ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»

متى قيلت؟ قالها رسول الله في شدةٍّ من الزمان والمكان قالها وهو يحفر الخندق في غزوة الأحزاب التي أقبلت فيها جحافل الكفر، وتحزّب عسكر الشيطان ، غزوةٌ فُقِدَ فيها الزاد واشتدت فيها الريح ، ونزل البرد القارص ، غزوةٌ زاغت فيها الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً ووصف الله حال شدّتهم فقالﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأحزاب: ١٠ ، ودار الزمان دورته، وصدق الله ورسُولُه وقال تعالى ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الأحزاب: ٢٧

اليأسُ يقطعُ أحيانًا بصاحبِهِ لا تيأسنَّ فإن الصانع اللهُ

معاشر المؤمنين ..

كم نسمع من كلمات اليأس والإحباط ؟

كم نسمع من آهات وحوقلة على الإسلام وأهله ؟

كم تقرع أسماعنا كلمات تحمل في طياتها اليأس والقنوط، وتبعث على الضعف والخور والتشاؤم ؟

فقائل يقول عظمت الفتن ، اشتدت البلايا والمحن، ففي كل أرضٍ أرملةٌ وقتيل ، وفي كلّ ركنٍ بكاءٌ وعويل ، وفي كل بقعةٍ مطاردٌ وأسير ، وقائلٌ يقول : ذهب العلم بذهاب فلان ، الدنيا في انحدار ، البيوت تنهار ، الاختلاط في التعليم قاب قوسين أو أدنى ، المرأة ستقود السيارة قريباً ، شبابنا وفتياتنا غدوا أسرى لوسائل التواصل والتغريب .

تنظيم الهيئة الجديد شلّ حركتها ودعوتها ، وألغى دورها وعطل شعيرتها ، بل لو أعطى الإنسان أذنه للإعلام لأدار ظهره للحياة من كثرة ما يبثّونه من تغريدات وتعليقات ظاهرها وباطنها الطيرة والتشاؤم ، تخويفٌ وتهديدٌ وشؤم وتشاؤمٌ حتى أصبح المرء يعيش إحباطاً ، ويأساً ، فيتساءل في دهشة هل بعد هذه الأحزان من أفراح ؟

هل بعد هذه الشدائد والآلام من تنفيس وآمال ؟

فيقول المتفائل بوعد الله المستبشر بنصر الله : نعم ، ثم نعم، ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ الصافات: ١٧١ - ١٧٢

يا كرام .. نحن لا نشك أننا في عصر تواطأ الكثير مع الظالم ، وانتفش الباطل ، وتغلّبت لغة المصالح، وأصبح القتل مباحاً، والعرض مستباحاً ، أصبح الدين إرهاباً ، والانحراف صواباً، والصمت جواباً ، بل نرى المصائب تلوا المصائب ، والأحزان تلوا الأحزان في إخواننا ، وفي جيراننا بل وفي أنفسنا .

إنها صروف حياة موجعة ، ترى الناس فيها يغدون فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها ، فغلب علينا اليأس والإحباط ، فقلّ أن ترى متفائلاً أو مستبشراً فحديث عن فساد الزمان ، وغربة الإخوان ، وشيوع المنكرات ، وغربة الدين .

صدق الله ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ البلد: ٤

يا كرام نحن بحاجة إلى التفاؤل وبثّ روح النصر بيننا .

التفاؤل نور في الظلمة، ويسر في العسر، وفرج عند الكرب.

التفاؤل باب لحسن الظن بالله .

لما جاءت إبراهيم عليه السلام البشرى بالولد بعدما كبر سنّه ، ورقّ عظمه ، قال متعجبا ! : ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ فماذا كان الجواب ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ الحجر: ٥٤ – ٥٦

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يفقد فلذة كبده يوسف عليه السلام ثم يفقد بصره ثم يفقد ولده الآخر، ونزل عليه الألم والحزن ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ يوسف: ٨٤

ولكن القلب بالله موصول ، والأمل مأمول ، فيقول لأبنائه متفائلاً محسناً الظن بربّه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ يوسف: ٨٧

فما بعد العسر إلا اليسر .

وما بعد الكرب إلا الفرج .

وما بعد الضيق إلا السعة .

ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ يوسف: ١١٠

الله أكبر ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ بعد ما نزل بهم الهمّ والكرب وهم يواجهون الكفر والجحود ،والباطل ينتفش ويطغى، وشياطين الإنس يبغون ويفجرون ، والرسل ينتظرون وعد الله حتى ظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، تلك سنة الله لابد من الشدائد ولابد من الكروب حتى لا تبقى بقيةٌ من جهد ولا طاقة ، ثم يجيء النصر بعد اليأس ، ويجيء الفرج من الله

إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها

فالصبرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارتَتَجا

لا تيأَسَنَّ وإنْ طالتْ مطالبَةٌ

إذا استعنتِ بصبر أن ترى فَرَجا

يا كرام ...

دعونا نحسن الظن بالله .

دعونا نتفاءل بوعد الله .

كفى إحباطاً ويأساً .. كفى قنوطاً وجراحاً ..

كفى تخاذلاً وتقاعساً ..

دعونا نتفاءل بأن القادم جميل ، وأنها محن تعقبها منح ، وبلايا تعقبها عطايا ، « فمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ » ، فكن متفائلاً واثقاً بوعد الله ، فمن عاش بلا تفاؤلٍ ولا أمل ، سقط بلا نهوض ، وفشل بلا نجاح .

التفاؤل سر النجاح ، تفاءلوا بالخير تجدوه ، ما أروعها من كلمة ، ما أعظمها من عبارة ، تفاءلوا بالخير تجدوه ، تفاءل بالخير ولو كنت في شدة الألم، فالمتفائل سيحصد الخير مهما كان بعيداً .

التفاؤل يقوي العزيمة ، ويبعث على الجد، ويشحذ الهمم إلى العطاء .

التفاؤل يجعل العلقم زلالا ، والحنظل عسلاً .

التفاؤل سمة الناجحين ، وطريق الصامدين ، وخطوات على الثبات واليقين .

التفاؤل انشراح في قلب العبد ، وإحسان ظنٍّ بخالقه .

التفاؤل هو الثقة بالله تعالى ، والرضا بقضائه ، فلا نستبطئ الرزق ، ولا نستعجل النجاح ، فكلّ شدةٍّ فرجها آت ، وما غلب عسر يسرين .

فالمتفائل يترقّب الشفاء عند المرض ، والنجاح عند الفشل ، والخير في مَضَانِّ الشّر ، يقول : إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ. قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

لقد كان نبينا إماماً في التفاؤل وقدوةً في حسن الظن بربه، كان يحارب اليأس والتشاؤم ، ويصنع الحياة والأمل .

تسأله عائشة رضي الله عنها سؤالا عجيبا فتقول : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " متفق عليه .

الله أكبر يا عباد الله أي تفاؤلٍ أعظم من هذا التفاؤل ، يخرج هائماً مهموماً من شدّة أذى قومه وكلماتهم الجارحة فيأتيه ملك الجبل يستأذنه ليطبق عليهم الأخشبين، وإذا بالنبي يقول متفائلاً : لا ، إني لأرجو الله تعالى أن يخرج من أصلابهم .

صدق الله وعده وأخرج الله من أصلابهم أصحاباً لنبيّه وقادةً للمسلمين ، فتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها .

مُتَفَائِلٌ وَالْيَأْسُ بِالْمِرْصَادِ مُتفَائِلٌ بِالسَّبْقِ دُوْنَ جِيَادِ

مُتَفَائِلٌ بِالْغَيْثِ يَسْقِي أَرْضَنَا وَسَمَاؤُنَا شَمْسٌ وَصَحْوٌ بَادِي

مُتَفَائِلٌ يَا قومُ رَغْمَ قُنُوْطِكُم إِنَّ السَّمَا تَبْكِيْ فَيَحْيَا الْوَادِي

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ....

الثانية

لقد حارب نبيكم التشاؤم والطيرة فقَالَ: " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ " قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ. رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : " لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ " وفي لفظ أحب الفأل الصالح . متفق عليه .

يقول ابن مسعود : «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنُّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ» .

المتفائل ليس أعمى ، وليس واهماً يعيش في الأحلام ،

المتفائل لا ينكر الواقع ؟ ولا يهمل الأسباب لكن المتفائل ينظر إلى الحل ، ويحدوه الأمل ، والمتشائم ينظر في المشكلة ويعيش الألم .

فدعونا نتفاءل بروحٍ جديدة ، وأملٍ جديد ، وهمّةٍ عالية ، فالمصيبة من الله كرم ، والمتفائل يقول : طهور إن شاء الله ، والمتشائم يقول : حُمَّى تَفُورُ .

دعونا ننظر إلى الجانب المضيء من الطريق .

دعونا نفسّر الأحداث بتفاؤلٍ يبعث الأمل ويضيء الرجاء .

ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ النور: ١١

أنفثوا .. صباح البؤس عن يساركم ثلاثاً ، وابدؤوا من جديد.

دعونا نتفاءل تفاؤلاً يحفز الهمة ويحدونا إلى القمّة .

دعونا نتفاءل تفاؤلاً مصحوباً بالحزم والعزم ، والصبر واليقين.

فالمشكلات لم تأتي لتهلك الناس بل لتمتحن صبرهم وإيمانهم ، فقد يلـد الأسـى أفراحاً..

والليــل ينـجب للـحـيـاة صـباحاً..

ذلل صـعـوبـة الـحـياة بـهــمةٍ..

إن الـحـياة تــريــد منك كــفـاحــا..

مـر الحياة لمن يريــد كرامةً حلوٌ..

ويـفــلـحُ مــن أرادَ فـــلاحــــاَ..

فالمجرّة تبدأ من ذرّة ، والشجرة تبدأ من بذرة ، والسيل من قطرة، ابدأ متفائلاً ولو من الصفر فغداً ستكون شيئا مذكوراً

ورأس التفاؤل ، وسرّه الأعظم الاتصال بالحي القيوم ، فالصلاة تفاؤل ، والدعاء تفاؤل، كيف لا نتفاءل ونحن نناجي الله الحي القيوم ؟ كيف لا نتفاءل وربنا يتنزل في الثلث الأخير ويقول : هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟

ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ النور: ٥٥